علم المناسبات وترجمة القرآن الكريم

عبد الحميد زاهيد
كلية الآداب والعلوم الإنسانية
مراكش - المغرب

مقدمة

إن القرآن الكريم كتاب سماوي معجز، تحدى العرب –وهم أرباب الفصاحة والبلاغة– أن يأتوا بأقصر سورة من مثل القرآن، ولكن كلام الله بهرهم، فلم يسبق لهم أن سمعوا به قط، فله حلاوة لا كحلاوة كلامهم، وله طلاوة لا كطلاوة كلامهم، فملك عليهم جانب الحس والعقل، فخروا له ساجدين.

إذا كان كلام الله بهذه الصفات، فإن كلام البشر لا يرقى أن يكون كذلك. وإذا ثبت ما قلناه، فإن نظرية الترجمة باعتبارها إطارا نظريا ومنهجيا لترجمة النصوص، قد تستوعب الكلام البشري، ولكن المؤكد أنها لن تستوعب الكلام الإلهي. ولزم من هذا الكلام، بناء نظرية ترجمية قرآنية تأخذ بعين الاعتبار أن القران الكريم قول إلهي معجز ذو خصوصيات وجب الحفاظ عليها بشكل من الأشكال في لغة الهدف. إن مزية هذا الطرح تبدو من جهتين: أولهما تتعلق بالنص، وذلك أن النص القرآني سيبدو في لغة الهدف محفزا ومثيرا لقارئه الجديد، إذ سيكتشف أن الترجمة لن تغنيه عن الأصل، كما قد تغني الترجمة في الكلام البشري عن أصله، وأن القرآن لا يتأتى لقارئه إلا ضمن إطاره المعرفي وبعلومه اللغوية والشرعية التي تعين على فهمه. وثانيها، فتتعلق بالمترجم، إذ عليه أن يظهر ما استتر من إعجاز كتاب الله، وأن ينقل وجوه أسراره نقلا يتجاوز به التمثيل اللغوي وصولا إلى التمثيل الإعجازي مرورا بالتمثيل الثقافي.

1- علم المناسبات

1-1 تعريف علم المناسبة

يعرف الزركشي المناسبة بقوله: «المناسبة في اللغة: المقاربة، وفلان يناسب فلان أي يقرب منه ويشاكله، ومنه النسيب الذي هو القريب المتصل كالأخوين وابن العم ونحوه،

وإن كانا متناسبين بمعنى رابط بينهما، وهو القرابة»[1]. فالمناسبة تقارب وتشاكل وتماثل وتوافق بين الألفاظ ومعانيها، ومتى حصلت المناسبة في الكلام أدت إلى التئامه، فجاء حسن الرصف بعيدا عن كل صنعة. فحسن الرصف عند العسكري: «أن توضع الألفاظ في مواضعها، وتمكن في أماكنها... وسوء الرصف تقديم ما ينبغي تأخيره منها وصرفها عن وجوهها وتغيير صيغتها ومخالفة الاستعمال في نظمها»[2].

أما المناسبة في كتاب الله، فمرجعها «في الآيات ونحوها إلى معنى رابط بينهما عام أو خاص، عقلي، أو حسي، أو خيالي، أو غير ذلك من أنواع العلاقات، أو التلازم الذهني، كالسبب والمسبب، والعلة والمعلول، والنظيرين، والضدين، ونحوه». فنظم القرآن نظم عجيب لا خلل فيه، مبني على أسرار منها ما علم ومنها ما لا يعلم. فمن علم المناسبات كما يقول البقاعي تعرف «علل الترتيب، وموضوعه أجزاء الشيء المطلوب علم مناسبته من حيث الترتيب، وثمرته الاطلاع على الرتبة التي يستحقها الجزء بسبب ما له بما وراءه وما أمامه من الارتباط والتعلق الذي هو كلحمة النسب. فعلم مناسبة القرآن علم تعرف منه علل ترتيب أجزائه، وهو سر البلاغة لأدائه إلى تحقيق مطابقة المعاني لما اقتضاه من الحال وتتوقف الإجادة فيه على معرفة مقصود السورة المطلوب ذلك فيها، ويفيد ذلك معرفة المقصود من جميع جملها، فلذلك كان هذا العلم في غاية النفاسة، وكانت نسبته من علم التفسير نسبة علم البيان من علم النحو»[3].

فعلم المناسبات يظهر ما خفي من النص القرآني ويبين الحكمة من نظمه وترتيبه، ومعرفة المترجم بهذه الخبايا ستزيده حرصا وتمسكا بإظهارها في لغة الهدف باعتبارها وجها من وجوه إعجازه.

2-1 ظهور علم المناسبة

ذكر الزركشي في البرهان: «قال الشيخ أبو الحسن الشهرباني: أول من أظهر ببغداد علم المناسبة ولم نكن سمعناه من غيره هو الشيخ الإمام أبو بكر النيسابوري، وكان غزير العلم في الشريعة والأدب وكان يقول على الكرسي إذا قرئت عليه الآية: لم جعلت هذه الآية إلى جنب هذه؟ وما الحكمة في جعل هذه السورة إلى جنب هذه السورة؟ وكان يزري على علماء بغداد لعدم علمهم بالمناسبة»[4].

1 - البرهان: 1 / 35
2 - الصناعتين: 179
3 - نظم الدرر: 1/ -6 5
4- البرهان: 1/ 36

أما التأليف في علم المناسبات، فقد أورد السيوطي أن من «أفرده بالتأليف العلامة أبو جعفر ابن الزبير شيخ أبي حيان في كتاب سماه [البرهان في مناسبة ترتيب سور القرآن]، ومن أهل العصر الشيخ برهان الدين البقاعي في كتاب سماه [نظم الدرر في تناسب الآي والسور]، وكتابي الذي صنفته في أسرار التنزيل كافل بذلك جامع لمناسبات السور والآيات مع ما تضمنه من بيان وجوه الإعجاز وأساليب البلاغة، وقد لخصت منه مناسبة السور خاصة في جزء لطيف سميته [تناسق الدرر في تناسب السور]»[5].

ويعتبر كتاب برهان الدين البقاعي (نظم الدرر في تناسب الآي والسور) من أهم مصادر علم المناسبات، فقد وسمه مؤلفه بقوله: «فهذا كتاب عجاب، رفيع الجناب في فن ما رأيت من سبقني إليه، ولا عول ثاقب فكره عليه، أذكر فيه إن شاء الله مناسبات ترتيب السور والآيات»[6]. أما ما ورد في كلام السيوطي من أن أبا جعفر الزبير أول من ألف فيه، فيوضح البقاعي أن كتاب ابن الزبير هو «لبيان مناسبة تعقيب السورة بالسورة، لا يتعرض فيه للآيات»[7].

وقد أشار البقاعي أنه استفاد كثيرا في علم المناسبات من الإمام الرباني أبي الحسن علي ابن أحمد بن الحسين التجيبي الحرالي المغربي نزيل حماة من بلاد الشام وأنه اعتمد في كتابه كتاب الحرالي المسمى «مفتاح الباب المقفل لفهم القرآن المنزل»[8]. وتجلت هذه الاستفادة في النقول العديدة التي يحفل بها الكتاب.

وقد كان البقاعي واعيا بتميز عمله، وأنه ليس تفسيرا للقرآن بقدر ما هو بحث في أسرار وتناسب نظم القرآن. وقد اقترح له أسامي عديدة ولكن أنسبها كما يقول هو «ترجمان القرآن ومبدي مناسبات الفرقان»[9]. إن تسمية علم المناسبات بترجمان القرآن تسمية تعكس منهج هذا العلم. فما المناسبات إلا ترجمة داخلية Intralingual Translation لنظم القرآن، أو قل إن شئت هي إعادة فك رموز هذا النظام المحكم بشكل تفصيلي Exigitic Translation أو بشكل جوهري Gist translation.

5- الإتقان في علوم القرآن: 2/ 234

6- نظم الدرر: 1/ 2

7 - نظم الدرر: 1/ 6

8 - نفسه: 1/ 10

9- نفسه: 1/ 5

3-1 منهج علم المناسبات

إن القاعدة التي يبنى عليها علم المناسبات هي أن نظم القرآن الكريم نظم محكم من ورائه أسرار عجيبة، وأن موضع الحرف والكلمة والجملة من النظم إنما هو لغاية تدرك وقد لا تدرك. وقد رسم الزركشي هذا المنهج بقوله: «والذي ينبغي في كل آية أن يبحث أول كل شيء عن كونها مكملة لما قبلها، أو مستقلة، ثم المستقلة، ما وجه مناسبتها لما قبلها؟ ففي ذلك علم جم، وهكذا في السور يطلب وجه اتصالها بما قبلها وما سيقت له»[10]. كما أوضح البقاعي معالم هذا المنهج بقوله: «الأمر الكلي المفيد لعرفان مناسبات الآيات في جميع القرآن هو أنك تنظر الغرض الذي سيقت له السورة، وتنظر ما يحتاج إليه ذلك الغرض من المقدمات [وتنظر إلى مراتب تلك المقدمات] في القرب والبعد من المطلوب، وتنظر عند انجرار الكلام في المقدمات إلى ما يتتبعه من استشراف نفس السامع إلى الأحكام... فهذا هو الأمر الكلي المهيمن على حكم الربط بين أجزاء القرآن، وإذا فعلته تبين لك إن شاء الله وجه النظم مفصلا بين كل آية وآية في كل سورة سورة»[11]. إذا كان هذا هو منهج علم المناسبات، فعلى المترجم أن يستحضر معالم هذا المنهج ونتائجه في نقل النص القرآني إلى لغة الهدف، وإلا فسيكون عمله كالجثة بلا روح. أما استكشاف خيوط روابط النظم القرآني فليس بشيء قريب المنال، بل يتطلب فتحا مبينا وأدوات شتى كما قال البقاعي: «فلا تظنن أيها الناظر لكتابي هذا أن المناسبات كانت كذلك قبل الكشف لقناعها والرفع لستورها، فرب آية أقمت من تأملها شهورا»[12].

ومن بين هذه الأدوات الاستكشافية معرفة علوم العربية والعلوم الشرعية والفروق الدقيقة بين الكلمات. يقول الخطابي: «ثم اعلم أن عمود هذه البلاغة التي تجمع لها هذه الصفات، هو وضع كل نوع من الألفاظ التي تشتمل عليها فصول الكلام موضعه الأخص الأشكل به، الذي إذا أبدل مكانه غيره جاء منه: إما تبدل المعنى الذي يكون منه فساد الكلام، وإما ذهاب الرونق الذي يكون معه سقوط البلاغة، ذلك أن في الكلام ألفاظا متقاربة في المعاني يحسب أكثر الناس أنها متساوية في إفادة بيان مراد المخاطب، كالعلم والمعرفة، والحمد والشكر، والبخل والشح، وكالنعت والصفة، وكقولك: اقعد واجلس، وبلى ونعم، وذلك وذاك، ومن وعلى، ونحوهما... لأن كل لفظة منها خاصية تتميز بها

10 - البرهان: 1 / 37

11-نظم الدرر: 1/ 18

12-نفسه: 1/ 9-10

عن صاحبتها في بعض معانيها وإن كانا قد يشتركان في بعضها»[13]. إن المعرفة الدقيقة بهذه الفروق تساعد على ربط خيوط المناسبات بين استعمالاتها ولا محالة أنها ستساعد المترجم في الاهتداء إلى المقصود من كلام الله حتى ينقله نقلا صحيحا بكل تمثيلاته اللغوية والثقافية والإعجازية إلى لغة الهدف.

ويضرب الخطابي مثالا لذلك بالفرق بين (قعد) و(جلس) بقوله «حكي لنا عن النضر بن شميل أنه دخل على المأمون عند مقدمه مرو فمثل بين يديه وسلم، فقال له المأمون: اجلس، فقال: يا أمير المؤمنين، ما أنا بمضطجع فاجلس. قال: فكيف تقول؟ قال: قل اقعد، فأمر له بجائزة»[14]. وذلك أن العرب تقول: قعد عن قيام، وجلس عن ضجعة واستلقاء.

ويضيف الخطابي مثالا آخر يوضح به الفروق الدقيقة بين الكلمات كما في (عتق) و(فك). «جاء أعرابي إلى الرسول (ص) فقال: «علمني عملا يدخلني الجنة فقال: اعتق النسمة وفك الرقبة. قال: أو ليس واحدا؟ قال: لا، عتق النسمة أن تنفرد بعتقها وفك الرقبة أن تعين في ثمنها؟ فتأمل كيف رتب الكلامين واختص من كل واحد منهما أخص البيانين فيما وضع له من المعنى وضمنه من المراد»[15]. يتضح أن منهج علم المناسبات يحرص على أدق التفاصيل الصوتية والتركيبية والدلالية والبلاغية التي تحكم نظم كتاب الله. وأن استعمال القرآن لصوت أو تركيب أو دلالة أو وجه بلاغي إنما هو لغاية يجب الكشف عنها والحرص على تبيانها في لغة الهدف.

1 – 4 علم المناسبات بين إعجاز القرآن وعلم البيان

كان هم علماء الإعجاز والبيان على حد سواء إظهار التناسب بين ألفاظ القرآن الكريم ومعانيه، فمنهم من جعل المزية في تناسب ألفاظه، ومنهم من وجدها في معانيه، ومنهم من رامها في نظمه، فجاءت جهودهم متظافرة متكاملة للإحاطة بكتاب الله. يقول الرماني: والتلاؤم يظهر «بسهولته على اللسان وحسنه في الأسماع، وتقبله في الطباع، فإذا انضاف إلى ذلك حسن البيان في صحة البرهان في أعلى الطبقات ظهر الإعجاز

13- ثلاث رسائل في إعجاز القرآن: 29

14- نفسه: 31

15-ثلاث رسائل في إعجاز القرآن: -33 34

للجيد الطباع البصير بجواهر الكلام»[16]. ومنهم من يرى تناسبه وتلاؤمه في نظمه كقول الجرجاني: «فقد اتضح اتضاحا لا يدع للشك مجالا أن الألفاظ لا تتفاضل من حيث هي ألفاظ، ولا من حيث هي كلم مفردة، وأن الفضيلة وخلافها في ملائمة معنى اللفظة لمعنى التي تليها وما أشبه ذلك مما لا تعلق له بصريح اللفظ»[17]. ومنهم من يرى أن التناسب في القرآن كامن في كل شيء فيه، «قال ابن عطية: والذي عليه الجمهور والحذاق في وجه إعجازه أنه بنظمه وصحة معانيه وتوالي فصاحة ألفاظه وذلك أن الله أحاط بكل شيء علما وأحاط بالكلام كله، فإذا ترتيب اللفظة من القرآن علم بإحاطته: أي لفظة تصلح أن تلي الأولى وتبين المعنى بعد المعنى، ثم كذلك من أول القرآن إلى آخره. والبشر يعمهم الجهل والنسيان والذهول. ومعلوم ضرورة أن أحدا من البشر لا يحيط بذلك، فبهذا جاء نظم القرآن في الغاية القصوى من الفصاحة»[18].

أما علم المناسبات وهو يبحث عن إعجاز كتاب الله، فإنه يسلك – كما يقول البقاعي – طريقتين: «أحدهما نظم كل جملة على حيالها بحسب التركيب، والثاني نظمها مع أختها بالنظر إلى الترتيب»[19].

إن حصيلة هذا المنهج يفضي بنا إلى أن إعجاز القرآن إعجاز هرمي قاعدته تعدد وجوه إعجازه، وذلك بتلاؤم أصواته وكلماته وآياته وسوره، فكل مستوى يفضي بك إلى الذي يليه في تناغم وتناسب. أما قمة هرمه فإعجاز واحد، وكأن أصواته أفرغت إفراغا فصارت صوتا واحدا، وكلماته سبكت سبكا فصارت كلمة واحدة، ومعانيه التئمت التئاما فصارت معنى واحدا، ووجوه إعجازه اتحدت اتحادا فصارت إعجازا واحدا.

كما اهتم بالتناسب علماء البيان، فالتناسب عماد البيان والفصاحة. وقد أورد ابن سنان المناسبة في قوله: «ومن شروط الفصاحة المناسبة بين اللفظين وهي على ضربين: مناسبة بين اللفظين من طريق الصيغة، ومناسبة بينهما من طريق المعنى. وأما المناسبة بينهما من طريق الصيغة فلها تأثير في الفصاحة»[20]. ومن أوجه التناسب عنده أيضا «هو أن يستمر في المعنى الواحد، وإذا أراد أن يستأنف معنى آخر أحسن التخلص

16- نفسه: 96
17- دلائل الإعجاز: 50
18- دلائل الإعجاز: 50
19- نظم الدرر: 1/ 10- 11
20- سر الفصاحة: 167

إليه حتى يكون متعلقا بالأول وغير منقطع عنه»[21].

كما اهتم ابن أبي الأصبع بالمناسبة الصوتية والإيقاعية في القرآن الكريم، وقسمها إلى نوعين لفظية ومعنوية: فاللفظية هي «عبارة عن الإتيان بلفظات متزنات مقفاة وغير مقفاة، فالمقفاة مع الاتزان مناسبة تامة، والمتزنة من غير التقفية مناسبة ناقصة»[22]. أما المناسبة المعنوية فهي: «أن يبتدئ المتكلم بمعنى ثم يتمم كلامه بما يناسبه معنى دون لفظ»[23].

أما أنواع المناسبات فكثيرة ومتعددة الوجوه، ولكنها تنحصر في شيئين اثنين: إما أن تكون في الآيات أو أن تكون في السور.

ونمثل لبعض مناسبات الآيات كتناسب الفواصل كما في قوله تعالى:

﴿لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار وهو اللطيف الخبير﴾[24]،

فإن معنى «نفي إدراك الأبصار لشيء يناسب اللطف، وهذا الكلام خرج مخرج التمثيل، لأن العهود عند المخاطب أن البصر لا يدرك الأجسام اللطيفة كالهواء وسائر العناصر ولا الجواهر المفردة، وإنما يدرك اللون من كل متلون، والكون من كل متكون، فجاء في هذا التمثيل ليتخيله السامع فيقيس به الغائب على الشاهد... (وهو اللطيف الخبير) ليناسب معنى آخر الكلام أوله، وعجزه صدره، ورجح لفظة (الخبير) على لفظة (البصير) لما فيها من الزيادة على الإبصار والإدراك»[25].

ومن أوجه التناسب أيضا التناسب الصوتي الإيقاعي، وقد بين الخطابي أثره في النفوس بقوله: «في إعجاز القرآن وجها آخر ذهب عنه الناس فلا يكاد يعرفه إلا الشاذ من آحادهم. وذلك صنيعه بالقلوب وتأثيره في النفوس، فإنك لا تسمع كلاما غير القرآن منظوما ولا منثورا إذا قرع السمع خلص له إلى القلب من اللذة والحلاوة في حال. ومن الروعة والمهابة في أخرى ما يخلص منه إليه، تستبشر به النفوس، وتنشرح له الصدور»[26].

21-نفسه: 268
22- بديع القرآن: 149
23-نفسه: 145
24-الأنعام: 103
25-بديع القرآن: 146
26- نفسه: 70

أما تناسب السور، فيتمثل في تناسب فواتح السور لخواتمها كما في سورة المؤمنون. فقد افتتحت بقوله تعالى: ﴿قد أفلح المؤمنون﴾[27] واختتمت بقوله تعالى:

﴿إنه لا يفلح الكافرون﴾[28]، وكما في سورة (ص) ﴿والقرآن ذي الذكر﴾[29] ﴿إن هو إلا ذكر للعالمين﴾[30].

وقد يكون التناسب بين السور، فقد ناسبت فاتحة سورة البقرة خاتمة آل عمران، وذلك في قوله تعالى:

﴿ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين﴾[31] و﴿يا أيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون﴾[32]. كما ناسبت خاتمة سورة الطور فاتحة سورة النجم، وذلك في قوله تعالى: ﴿وإدبار النجوم﴾[33]

و﴿والنجم إذا هوى﴾[34]. فانظر إلى هذه الهندسة العجيبة في القرآن، وهذا التناسق المحكم في البناء، وكأنه قلادة مرصعة ترصيعا محكما دون زيادة أو نقصان.

1 - 5 نحو بناء نظرية بيانية لترجمة القرآن الكريم.

إن خصوصية النص القرآني تستلزم بناء نظرية ترجمية خاصة به، كما تستلزم أيضا مترجما من نوع خاص. فليس كل مترجم قادر على ترجمة القرآن، فقد يكون قادرا على نقل لغة النص القرآني، ولكنه لن يكون قادرا على نقل خبايا النص وما ينطوي عليه.

ما نرمي به من هذا الكلام، هو أن ترجمة القرآن الكريم في حاجة إلى مترجم خاص ونظرية خاصة حتى نستطيع تقريب بعضا من مراد الله إلى قارئ لغة الهدف.

27- المؤمنون: 2
28- المؤمنون: 117
29- ص : 1
30- التكوير: 87
31- البقرة: 2
32- آل عمران: 200
33- الطور: 49
34- النجم: 1

1 -5 -1 شروط مترجم القرآن.

ساد في نظرية الترجمة (Nida 1964, Nord 1991, Fawcet 1997, Basil 2000) أن على المترجم أن يكون ثنائي اللغة والثقافة، أي عليه أن يتقن لغة الهدف والمصدر وأن يكون ملما بثقافة الهدف والمصدر. فالنصوص ليست لغة فحسب، بل هي ثقافة أيضا. فمعرفة المترجم للغتين – في نظر Nord – غير كاف لنقل النص من لغة المصدر إلى لغة الهدف، إذ عليه «أن يتحكم بزمام ثقافة الأصل وثقافة الهدف على حد سواء» (11: 1991).

أما باسل حاتم فيرى أن المترجم «وسيط Communicator من نوع خاص» (2:1997) وسايره في ذلك (Gutt 2000:19).

إذا كان على المترجم في نظرية الترجمة أن يستوفي مطلب اللغة ومطلب الثقافة ليكون مترجما، فالأمر بالنسبة للقرآن يتعدى ذلك بأن نضيف مطلبا آخر وهو مطلب العلوم الشرعية الذي به يستكشف المترجم خبايا النص القرآني وما استتر منه لينقله إلى لغة الهدف. إن مطلب العلوم الشرعية هو المفتاح الجوهري في ترجمة القرآن، وعليه المعول في الترجمة. فتكون شروط مترجم القرآن الكريم: اللغة والثقافة والعلوم الشرعية.

1 -5 -1 -1 المطلب اللغوي:

على المترجم أن يكون ملما بلغة القرآن وقواعدها، وبعادة العرب في كلامها، والفروق الدقيقة بين معاني الكلمات، وبالمشترك والمتضاد... وبالجملة عليه الإلمام بعلوم اللغة العربية. وذلك لأن القرآن نزل بلسان العرب جريا على عادتهم ﴿إنا أنزلناه قرآنا عربيا لعلكم تعقلون﴾[35]. فيكون خرج المكون المعجمي- التركيبي للنص القرآني تمثيلات معجمية – تركيبية في لغة الهدف تنقل قصدية الكلام إن تعذر المثيل.

1 -5 -1 -2 المطلب الثقافي:

يعتبر الشعر ديوان العرب، وخزانا لعاداتهم وتقاليدهم، ومعينا لهم على فهم كتاب الله. من هذا المنظور تعتبر الثقافة العربية الإسلامية رافدا مهما في ترجمة القرآن، إذ لا غرابة في ذلك، فالقرآن نزل مقرا لبعض عاداتهم ومصححا لأخرى، ولو لم يكن كذلك

35- يوسف: 2

لكان كتابا غريبا عنهم. والقرآن يحفل بآيات كثيرة نزلت جريا على عاداتهم وثقافتهم، وجهل المترجم بالمطلب الثقافي يؤدي به إلى نقلها نقلا لغويا مجردا عن إيحاءاتها الثقافية. ونضرب مثالا لذلك بقوله تعالى: ﴿ أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتا فكرهتموه ﴾[36]. يقول المراغي في تفسير الآية الكريمة: «وقد شبهت بأكل اللحم لما فيها من تمزيق الأعراض المشابه لأكل اللحم وتمزيقه، وقد جاء هذا على نهج العرب في كلامهم. قال المقنع الكندي:

فإن أكلوا لحمي وفرت لحومهم *** وإن هدموا مجدي بنيت لهم مجدا.

وقد زادت الآية فجعلت اللحم لحم أخ ميت تصويرا له بصورة بشعة تستقذرها النفوس جميعا»[37].

وقد ترجمت الآية إلى الإنجليزية كما يلي :

(Would any of you like to eat the flesh of his dead brother?) .

يبدو أن المكون الثقافي في الآية الكريمة وهو عادة العرب بالتمثيل للغيبة بأكل اللحم قد جاء على شكل تمثيل معجمي تركيبي لا غير: فالترجمة الإنجليزية مفرغة من المطلب الثقافي، حيث يبدو الأسلوب الإنجليزي غريبا عن قارئه، ولن يحقق الغاية من التمثيل. فعلى المترجم أن يسعى إلى إيجاد تقابلات ثقافية، أو أن يعمل جاهدا لنقل المكون الثقافي بطريقة يجعله ظاهرا في لغة الهدف. فيكون خرج المكون الثقافي تمثيلات ثقافية في لغة الهدف تنقل ثقافة النص القرآني بالأصل أو النظير.

1 -5 -1 -3 المطلب الشرعي (العلوم الشرعية)

لا غنى للمترجم عن الإلمام بالعلوم الشرعية كالتفسير، والمناسبة، والناسخ، والمنسوخ، والمحكم، والمتشابه، و أسباب النزول، وغير ذلك مما يدور في فلك القرآن، فالغاية من هذه العلوم تبيان كتاب الله وكشف أسراره وإماطة اللثام عن وجوه إعجازه. إذ يعتبر إعجاز القرآن الخصوصية التي تميزه عن الكلام البشري. وإذا ترجمنا القرآن مجردا من إعجازه كانت ترجمته كباقي ترجمات الكتب الأخرى. لا أقصد من هذا الكلام

36-الحجرات: 12

37-تفسير المراغي 26/ 140

أن الإعجاز قابل أن يترجم إلى لغة الهدف، فذلك غير ممكن قطعا، فالإعجاز مرتبط بلغة التنزيل لا غير. أما ما أرمي إليه هو أن مكون العلوم الشرعية يفضي بالمترجم إلى تمثل الإعجاز أولا ثم تمثيل معانيه ثانيا في لغة الهدف. وسنبرهن على ما ذهبنا إليه من ضرورة استحضار علم المناسبات في ترجمة القرآن الكريم. فأي ترجمة مغيبة لمطلب العلوم الشرعية تجعلها سطحية فاقدة لمقاصد ومعاني الإعجاز القرآني. وفي ما يلي رسم يوضح هذه المطالب الثلاث وما يفضي به كل مطلب في لغة الهدف.

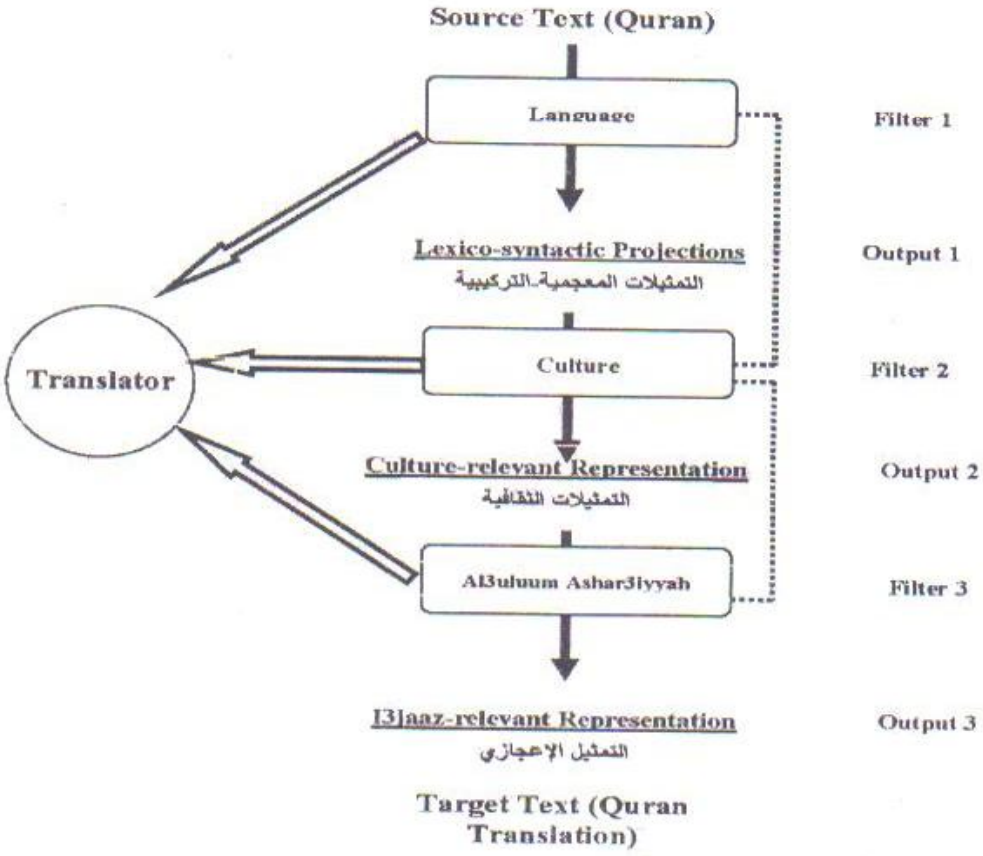

إن الترجمة التي نحصل عليها انطلاقا من هذه المطالب لن تغنينا عن الأصل أبدا. وإنما هي ترجمة نسعى من خلالها إلى تحفيز القارئ للعودة إلى الأصل. وذلك لأن التمثيلات المعجمية- التركيبية والثقافية والإعجازية لن تشفي غليله في تبيان كل شيء عن النص الأصلي كما يحدث في الكلام البشري، وإنما سيشعر بنقص ما وهذا النقص لا يمكن تداركه إلا في النص الأصلي.

1 -5 -2 النظرية البيانية لترجمة القرآن الكريم

نسعى فيما يلي من الكلام أن نرسم معالم نظرية لترجمة القرآن نسميها ب «النظرية البيانية لترجمة القرآن الكريم». وأما تسميتها فحذوا بقوله تعالى: ﴿ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شيء﴾[38]. إن دور القرآن هو التبيان، وأن الهدف من نزوله هو البيان الذي يظهر في أميته من الجانب الشرعي، وإعجازه من الجانب اللغوي. وأن بيانه يظهر من تفسير بعضه بعضا حتى قيل ما من عام إلا وخص بوجه من الوجوه، وما من خفي إلا بين بوجه من الوجوه. فإذا كان نزول القرآن للبيان، فالأولى في ترجمة القرآن أيضا أن تكون لدور البيان حتى يكون قارئ لغة الهدف على بينة من مراد الله، ولهذا وسمنا النظرية ب «البيانية» حتى تكون ترجمة القرآن في حكم هدف التنزيل.

تقوم هذه النظرية على مبدأ نسميه ب : «مبدأ البيانية» وقوامه القاعدة التالية:

تحر أن تكون ترجمة القرآن متضمنة للمطلب اللغوي والثقافي والإعجازي.

إن المطالب الثلاث التي يتضمنها مبدأ البيانية قد سبق القول فيها في الحديث عن المترجم. أما مبدأ البيانية فهو المنطلق والهدف في عملية ترجمة القرآن. إنه السبب والمسبب، العلة والمعلول، المقدمة والنتيجة التي تحكم عملية ترجمة القرآن برمتها، ولكي يتحقق مبدأ البيانية، لزم أن تمر عملية ترجمة القرآن بثلاث مراحل: نسمي الأولى بالمرحلة التقويمية، والثانية بالبيانية، والثالثة بالتحفيزية.

1 -5 -2 -1 المرحلة التقويمية:

وتتكون هذه المرحلة من مرحلتين: المرحلة الوصفية والمرحلة التصنيفية.

المرحلة الوصفية: وتعتبر هذه المرحلة أساسية في ترجمة القرآن. ففيها يتم وضع اليد على نواقص الترجمات المتداولة، وسلاح المترجم في التعرف على مكمن الخلل فيها هي العلوم اللغوية والشرعية حيث يكون مدار السؤال في مرحلة التقويم: هل استطاعت هذه الترجمة أن تبين مراد الله؟ فإن لم تستطع، فالعلة كامنة إما في المطلب اللغوي أو الثقافي أو الإعجازي. إن الغاية من هذه المرحلة هو تحضير متن يعتبر مادة لمشروع الترجمة البيانية.

38- النحل: 89

المرحلة التصنيفية: تعتبر هذه المرحلة مكملة للمرحلة الوصفية. إذ سيخضع المتن الذي سنحصل عليه في المرحلة الأولى لعملية تصنيف حسب المطالب الثلاثة التي يتكون منها مبدأ البيانية وكل مطلب من هذه المطالب يتضمن خانات بعدد الظواهر المرصودة. ففي كل خانة تجمع العينات التي تشترك في قواسم مشتركة. هناك تقترح قواعد لتدارك تلك الإخفاقات. فتكون هذه المرحلة مرحلة تنظير بامتياز للمشاكل اللغوية والثقافية والإعجازية التي تعوق قارئ لغة الهدف من تمثل مراد الله.

1 -5 -2 -2 المرحلة البيانية:

تعتبر المرحلة البيانية مرحلة مكملة للمرحلة التقويمية وتنقسم هذه المرحلة إلى إنجازية وتواصلية.

المرحلة الإنجازية: فيها يتم تحويل ما نتج عن المرحلة التقويمية من تحديد الإخفاقات والقواعد التصنيفية المقترحة لها إلى لغة الهدف تحويلا يراعي المطلب اللغوي والثقافي والإعجازي للنص القرآني، كما يراعى في الوقت نفسه مقتضيات لغة الهدف، وذلك لأن اللغات كما يقول Nida (1964: 39) تتفق في نوى (Kernels) البنية العميقة أكثر من اتفاقها في البنية السطحية. ولذلك على المترجم تحويل البنيات المعجمية التركيبية في لغة المصدر إلى متوالية من النوى العميقة التي يتم تحويلها إلى بنيات معجمية تركيبية في لغة الهدف ضمانا لأقل إتلاف ممكن كما هو موضح في الرسم التالي :

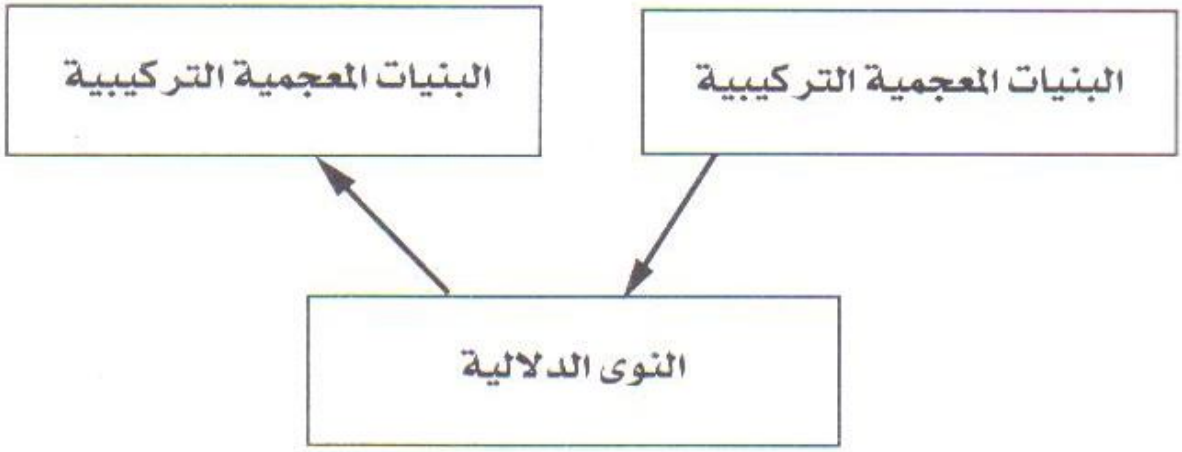

فتكون العملية الترجمية بين النوى ولغة الهدف، وليس بين البنيات المعجمية التركيبية وما يقابلها في لغة الهدف.

المرحلة التواصلية: ترتبط هذه المرحلة بقارئ لغة الهدف، فالغاية من المرحلة الإنجازية هي تحقيق تواصل بين ترجمة النص القرآني وقارئه. هدف هذه المرحلة هو تحقيق ما سماه (Nida 1969) بالمعادلة التفاعلية (Dynamic Equivalence) التي تسعى إلى تحقيق استجابة لدى القارئ الثاني شبيهة باستجابة القارئ الأول. إن الخصوصية التي تميز النص القرآني تجعل هذه المعادلة التفاعلية محصورة فقط على القارئ الأول، ومهما كانت المرحلة الإنجازية ناجحة، فإن طعم وحلاوة الإعجاز لا يمكن أن يتذوق إلا في الأصل. وبالتالي فإن الاستجابة التي نتوقعها من المرحلة التواصلية ليست ذات طبيعة تفاعلية كما عبر عن ذلك (Nida)، وإنما ذات طبيعة تحفيزية. ولذلك ندعو في معرض الحديث عن ترجمة القرآن إلى استبدال المعادلة التفاعلية بالمعادلة التحفيزية.

1 -5 -2 - 3 المرحلة التحفيزية

تعتبر هذه المرحلة الهدف من النظرية البيانية لترجمة القرآن الكريم. وذلك لأن ترجمة القرآن الكريم لن تكون بديلة عن الأصل. وما دام الأمر كذلك، فنحن بحاجة إلى ترجمة تواصلية تحفز القارئ الثاني على الرجوع إلى الأصل. إن البيان الحقيقي لا يتأتى إلا في لغة الأصل أما البيان الترجمي فللإستئناس والتحفيز لا غير. ولهذا سمينا هذه المرحلة بالتحفيزية. فعندما يقرأ قوله تعالى ﴿ أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتا﴾ الآية، على الترجمة أن تخلق في القارئ معادلة تحفيزية لاكتشاف الأسلوب القرآني والغاية من ضرب الأمثال، وأن التعبير بأكل لحم الميت للدلالة على الغيبة عادة عربية جرى القرآن على منوالها، كما أن (نكون أول من ألقى) عوض (نلقي) في قوله تعالى: ﴿قالوا: يا موسى إما أن تلقي وإما أن نكون أول من ألقى﴾ (طه: 64)، هو نظم إعجازي. كما أنه تعالى عندما استعمل (نزّل) مكان (أنزل) للقرآن كان تماشيا مع المطلب اللغوي. كل هذه الدقائق وغيرها لا يمكن أن يفهمها القارئ إلا إذا كانت الترجمة تحفيزية تعتمد المبدأ البياني بمطالبه الثلاث.والرسم التالي يوضح مراحل النظرية البيانية :

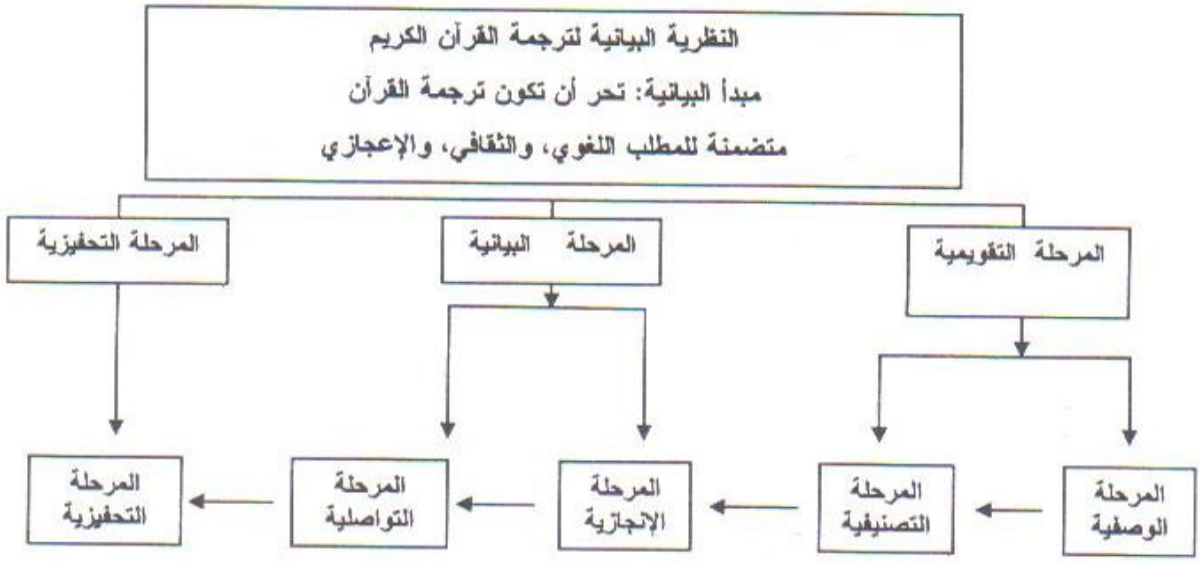

2 ـ علم المناسبات وترجمة القرآن الكريم

يسعى هذا المبحث إلى تبيان دور علم المناسبات في ترجمة القرآن الكريم، وهو علم من العلوم الشرعية التي تسعى إلى فهم كتاب الله. وهي علوم لا مناص للمترجم من الإلمام بها لنقل مراد الله. كما يسعى هذا المبحث إلى التركيز على المرحلة التقويمية من النظرية البيانية في شقيها الوصفي والتصنيفي لإبراز الخلل والسعي إلى تداركه في المرحلة البيانية بشقيها الإنجازي والتواصلي، وصولا إلى الغاية التي نرمي إليها وهي المعادلة التحفيزية.

وقد عمدنا إلى تصنيف عينات المتن إلى المستويات التالية: المستوى الصوتي والمعجمي والتركيبي والبلاغي. وهناك مستويات أخرى، ارتأينا تأجيلها إلى دراسة أخرى بحول الله.

2-1 المستوى الصوتي

يشكل المستوى الصوتي في القرآن عمودا من أعمدة إعجازه، وقد توقف عنده القدماء والمحدثون على حد سواء، وأبرزوا درجة التناسب الصوتي في القرآن وما يخلفه من أثر في القارئ. يقول الرماني متحدثا عن التلاؤم الصوتي في القرآن: «التلاؤم في التعديل من غير بعد شديد أو قرب شديد، وذلك يظهر بسهولته على اللسان، وحسنه في

الأسماع، وتقبله في الطباع»[39]، ويضيف الرافعي أن التناسب الصوتي كامن في أحرف الكلمة الواحدة ثم ملائمتها للكلمة التي بإزائها. ثم اتساق الكلام على هذا الوجه، حتى يكون كالنغم الذي يصب في الآذان صبا، فيجري أضعفه في النسق مجرى أقواه، لأن جملته مفرغة على تناسب واحد»[40].

والمناسبات الصوتية كثيرة في القرآن، كقوله تعالى: ﴿ قالوا يا موسى إما أن تلقي وإما أن نكون أول من ألقى﴾[41]. فقد ذكر ابن جني في الخاطريات أن «التناسب في هذه الآية من وجهين أحدهما لفظي والآخر معنوي، فاللفظي هو المزاوجة لرؤوس الآي (تلقي- ألقى) وذلك للشراكة الصوتية بينهما، أما المعنوي وهو أنه تعالى أراد أن يخبر عن قوة أنفس السحرة واستطالتهم على موسى فجاء عنهم باللفظ أتم وأوفى منه في إسنادهم الفعل إليه»[42]، ولذلك قال تعالى: ﴿نكون أول من ألقى﴾ ولم يقل (نلقي) مقابل (تلقي) فأضاف (نكون + أول + من) وكلها لتبيان استطالة السحرة على موسى.

وقد توفق علي يوسف في ترجمته الانجليزية لهذا التناسب الصوتي والمعنوي في قوله:

(They said; «O Moses»! Whether will you that you throw (first) or that we be the first to throw).

وذلك بتكرار الفعل (throw) مرتين في الآية المترجمة حفاظا على الانسجام الصوتي وبالحفاظ على صيغة (نكون أول من) (we be the first) عوض (you throw) لإظهار قوة السحرة وتطاولهم على موسى.

هذا مثال سقناه للتدليل على المقصود من الترجمة البيانية. وأن المترجم استطاع أن ينقل إلى لغة الهدف المطلب اللغوي والإعجازي للآية بتمثيلات مبينة للمقصود منها.

ونورد مثالا آخر نوضح بها الإخفاقات الصوتية في ترجمة سورة (نوح). فالسورة الكريمة آية في التلاؤم الصوتي العجيب. فإذا تأملنا أصوات فواصلها وجدناها من المنطقة

39-ثلاث رسائل في إعجاز القرآن: 89
40- تاريخ آداب العرب: 2/63
41- طه: 64
42- الإتقان: 268 -269

الأمامية في المجرى الصوتي. فكل مخارج هذه الفواصل تنحصر بين اللهاة والشفتين، ومن أوجه هذا التناسب المعجز، أن فواصل سورة نوح تجمع بين هندستين صوتيتين عجيبتين، إحداهما خارجية والأخرى داخلية. أما الخارجية فتنقسم إلى قسمين: القسم الأول من الآية (1 إلى 14) أصوات شفتانية لثوية (م- ن- ر)، ثم يليه الصوت اللهوي الفاصل بين القسمين (ق) في الآية (15). ويبدأ القسم الثاني من الآية (16 إلى 28) بأصوات لثوية حنكية (ج- ت- ط- ر- ل)، وكأن القاف واسطة عقد منسجم في الألوان والأشكال.

أما الهندسة الداخلية فألطف، فالنصف الأول من السورة من الآية (1- 14) ينقسم قسمين: من (1- 4) (م ن) ومن (5 -14) (ر)، ثم يأتي الصوت الفاصل بين القسمين (ق). أما القسم الثاني فينقسم بدوره إلى قسمين: من (16- 20) تناوب بين (ج- ت- ط) وكلها من مخارج متقاربة، ومن (21 إلى 28) (ر- ل) فأتت اللام وهي من مخرج الراء حدا بين ثلاث راءات قبلية وأربع راءات بعدية وفيما يلي رسم يوضح هذه الهندسة الصوتية العجيبة:

التناسب الصوتي في فواصل سورة نوح

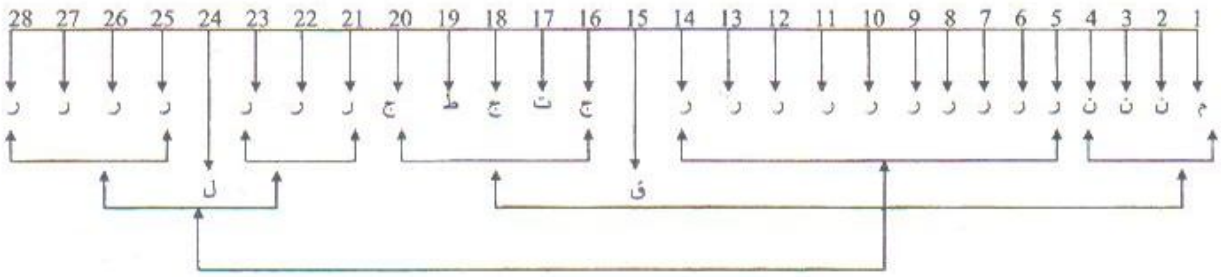

أما الترجمة الانجليزية فلم تراع هذا التناسب الصوتي من سورة نوح كما راعته في (طه 65)، وأتت الترجمة برمتها خلو من هذا الانسجام الصوتي الذي يشكل وجها من وجوه فصاحة السورة وإعجازها. وتأمل الآيات التالية وترجماتها فستلمس ذلك دون عناء.

﴿قال رب إني دعوت قومي ليلا ونهارا﴾ (نوح: 5).

﴿فلم يزدهم دعائي إلا فرارا﴾ (نوح: 6).

5- He said: «O my lord!» I have called to my people night and day

6- «But my call only increases (their) flights (from the right)

﴿ ثم إني دعوتهم جهارا﴾ (نوح: 8).

﴿ ثم إني أعلنت لهم وأسررت لهم إسرار﴾ (نوح: 9).

8-So I have called to them aloud;

9-Further I have spoken to them in public and secretly in private,

ونختم هذا المستوى بمثال نوضح فيه إخفاق الترجمة في الحفاظ على التناسب الصوتي في قوله تعالى: ﴿إنما نحن مستهزئون، الله يستهزئ بهم﴾ [43].

(We were only jesting, Allah will throw back their mockery on them).

فالمترجم استعمل كلمتين من حقل دلالي واحد (jesting-mockery) وهو أمر غير مقصود في النص القرآني. إذ ليس المقصود من تكرار (مستهزئون- يستهزئ) التناسب الصوتي فقط، بل أن جزاء الفعل يكون من جنس الفعل، وأن اللفظ الثاني جاء لغرض تأكيد المساواة في المعادلة والجزاء، ويسمى عند البلاغيين بالمزاوجة [44] أو المشاكلة، وذلك كقوله تعالى ﴿ومكروا ومكر الله والله خير الماكرين﴾ [45]. وحتى تكون الترجمة بيانية وجب تكرار الفعل (jest أو mock) في الآية حفاظا على التناسب الصوتي والمقصد الدلالي.

2 -2 المستوى المعجمي:

2 -2 -1 دلالة الألفاظ

على المترجم في ترجمة القرآن أن يتعامل بحذر شديد مع دلالة الألفاظ وأن يستقصي جميع المعاني الممكنة وأن يستعين بالسياق والعلوم الشرعية واللغوية التي تعينه على التحقق من المراد، لأن لكل لفظ في القرآن أبعاده الدلالية التي تبين وجها من وجوه إعجازه.

ونمثل لذلك بقوله تعالى: ﴿فأكله الذئب﴾ [46]، فلماذا قال سبحانه (أكل) ولم يقل (افترس) جريا على كلام العرب؟ أما الحكمة في ذلك كما يقول الرماني: «فإن الافتراس معناه في فعل السبع القتل فحسب، وأصل الفرس دق العنق، والقوم إنما ادعوا على الذئب أنه

43-البقرة: -14 -15

44-ا لمنزع البديع: 402

45- آل عمران: 54

46- يوسف: 17

أكله أكلا وأتى عل جميع أجزائه وأعضائه فلم يترك مفصلا ولا عظما، وذلك أنهم خافوا مطالبة أبيهم إياه بأثر باق منه يشهد بصحة ما ذكروه، فادعوا فيه الأكل ليزيلوا عن أنفسهم المطالبة، والفرس لا يعطي تمام هذا المعنى، فلم يصلح على هذا أن يعبر عنه إلا بالأكل»[47]، فالحكمة كما يبدو من استعمال (أكل) تتماشى والخطة التي رسمها إخوة يوسف لكي لا يبقوا على أثر لأخيهم. وقد ترجم علي يوسف الآية بقوله: (and the wolf devoured him) صحيح أن (devour) تفيد الأكل كما تفيد السرعة في الأكل، ولكن السرعة ليست مقصودة هنا، وأن المقصود هو أن الذئب أتى على جميع أجزائه، والأفضل الإبقاء على (أكل) (eat) علما أنها في الانجليزية تستعمل للإنسان وللحيوان على حد سواء.

ونفس الملاحظة نسجلها في الترجمة الانجليزية لقوله تعالى: ﴿فانفجرت منه اثنتا عشرة عينا﴾[48].

(Them gushed forth therefrom twelve springs).

﴿فانبجست منه اثنتا عشرة عينا﴾[49].

(Out of it, there gushed forth twelve springs).

إن دلالة الانفجار أقوى من دلالة الانبجاس، أضف إلى ذلك أن ذكر (انفجرت) في البقرة ناسبت سياق ذكر النعم فجاءت للدلالة على تدفق الخيرات، فلزم من ذلك اختيار لفظ أقل قوة ودلالة لترجمة (انبجست)، فيكون الفعل (Flow) مناسبا لذلك، وذلك لأنه يعني انسياب الماء بشكل هادئ منتظم عكس (gush) الذي يعني قوة الانفجار والسيلان.

وهناك بعض الحالات التي تكون فيها لغة الهدف لا تحتوي على كلمة معبرة على نفس الدلالة في لغة المصدر كما في قوله تعالى: ﴿تبارك الذي نزل الفرقان على عبده﴾[50].

(Bless is the who sent down the criterion to his servant).

﴿ وأنزل التوراة والانجيل﴾[51].

47-ثلاث رسائل في إعجاز القرآن: 41

48-البقرة: 60

49- الأعراف: 160

50-الفرقان: 1

51- آل عمران: 3

(And he sent down the law (of Moses) and the gospel (of Jesus) before this).

إن فعل (نزل) و(أنزل) ترجما معا ب (send down)، والأمر ليس كذلك. فالقرآن نزل منجما والكتب السماوية الأخرى نزلت دفعة واحدة، فاستعمل القرآن (نزل) بالتضعيف للدلالة على التنجيم، و(أنزل) للدلالة على الدفعة الواحدة. أما الفعل (send down) فلا يناسب دلالة التنجيم، وجميع الأفعال التي تدور في فلكه لا تفي بالغرض (deliver, dispatch, forward, transmit) فلزم من ذلك الوقوف عند هذه الآية وإبراز معاني الفعلين مراعاة للتناسب الموجود في القرآن، حتى نميز القرآن عن باقي الكتب الأخرى.

2-2-2 جمع القلة وجمع الكثرة.

إن دور علم المناسبات هو إبراز الفروق الدقيقة في الاستعمالات القرآنية، وهذه الفروق على بساطتها عظيمة الأهمية في إبراز مراد الله، فانظر إلى قوله تعالى: ﴿ وقالوا لن تمسنا النار إلا أياما معدودة﴾[52].

(And they say: the fire shall not touch us but for a few numbered days).

ثم قوله تعالى: ﴿ذلك بأنهم قالوا لن تمسنا النار إلا أياما معدودات﴾[53].

(This because they say: the fire shall not touch us but a few numbered days).

فقد وردت في الآيتين الكريمتين (معدودة ومعدودات)، وقد ترجمتا إلى الانجليزية بترجمة واحدة (Few numbered days)[54] والأمر ليس كذلك، لأن الترجمة لم تراعي المناسبة في الاستعمال. فقد أورد السيوطي قولا لابن جماعة يتحدث فيه عن الفرق بين (معدودة ومعدودات) فقال: «لأن قائلي ذلك فرقتان من اليهود. إحداهما قالت: إنما نعذب بالنار سبعة أيام عدد أيام الدنيا. والأخرى قالت: إنما نعذب أربعين عدة أيام عبادة آبائهم العجل. فآية البقرة تحتمل قصد الفرقة الثانية حيث عبر بجمع الكثرة، وآل عمران بالفرقة الأولى حيث أتى بجمع القلة»)45(، ف (معدودات)، جاءت على وزن جمع مؤنث سالم وهو

52-البقرة: 80

53-أل عمران: 24

54-الإتقان: 2/ 250

يفيد القلة، و(معدودة) تفيد الكثرة قياسا إلى (معدودات)، فناسب الاستعمالان الروايتين المذكورتين. فلزم في ترجمة آية البقرة إسقاط كلمة (Few) لخلق تقابل بينهما. إن هذا المثال وغيره كثير، يبين أهمية أسباب النزول في ترجمة القرآن الكريم.

2 -3 المستوى التركيبي

إن نظم القرآن نظم عجيب، محكم في بنائه، عميق في دلالته، إن أنعمت النظر فيه تجلت لك أسراره كما في قوله تعالى: ﴿يسألونك ماذا ينفقون قل﴾ [55].

(They ask you what they spend (in charity), say:).

﴿يسألونك عن الأهلة قل﴾ [56].

(They ask you concerning the new moon, say:).

﴿يسألونك عن الخمر والميسر قل﴾ [57].

(They ask you concerning wine and gambling, say:).

﴿ويسألونك عن الجبال فقل﴾ [58].

(They ask you concerning the mountains; say:).

ورد في البرهان للزركشي في الفرق بين (قل وفقل) في القرآن «قالوا: وجميع ما في القرآن من السؤال لم يقع عنه الجواب بالفاء إلا قوله تعالى في طه: ﴿ويسألونك عن الجبال فقل ينسفها ربي نسفا﴾ (طه 105)، لأن الأجوبة في الجميع كانت بعد السؤال، وفي طه كانت قبل السؤال وكأنه قيل: إن سألت عن الجواب فقل» [59] فلزم إظهار السؤال في الترجمة حتى تتميز هذه الآية عن باقي الآيات الأخرى، وأنها ليست من جنسها وأن تركيبها جاء مناسبا لمقصد آخر، وأن حذف الفاء في الآيات الأولى جاء في تركيب السؤال الظاهر، وأن ذكر الفاء في سورة طه جاء في تركيب السؤال المحتمل. فتكون الترجمة على الشكل الآتي:

(If they ask you concerning the mountains; then say)، متضمنة لسؤال لم يحدث.

55-البقرة: 215

56-البقرة: 189

57- البقرة: 219

58-طه: 105

59-البرهان: 1/ 116

ونضيف مثالا آخر نوضح به خصوصية التركيب القرآني، ففي قوله تعالى : ﴿قولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا﴾[60] .

(You say: We believe in Allah and the revelation given to us).

﴿قل آمنا بالله وما أنزل علينا﴾[61].

(Say : we believe in Allah, and in what has been revealed to us).

نلاحظ أن حرفي الجر)إلى وعلى) ترجما بطريقة واحدة (to us)، وشتان بين الاستعمالين في اللغة العربية. أورد السيوطي أن « الأولى خطاب للمسلمين، والثانية خطاب للنبي)ص)، و)إلى(ينتهي من كل جهة، و)على (لا ينتهي بها إلا من جهة واحدة وهي العلو، والقرآن يأتي المسلمين من كل جهة يأتي مبلغه إياهم منها، وإنما أتى النبي(ص) من جهة العلو خاصة فناسب قوله)علينا(. ولهذا أكثر ما جاء في جهة النبي (ص) ب)على(، وأكثر ما جاء في جهة الأمة بـ)إلى(»[62]. إن الترجمة الإنجليزية سوت بين السياقين واعتبرت حرفي الجر بمعنى واحد والأمر ليس كذلك . إن معنى العلوية في)على (يتماشى مع الوحي المنزل، ومعنى الجهة يتماشى مع) إلينا)، ألا ترى أنك تقول) وصلت أخبار إلينا(ولا تقول (علينا (. فلزم مراعاة هذا المعنى في الترجمة كتخصيص المخاطب مثلا : ((to us (believers)) أو((To us (prophet)) أو ترکيب آخر يؤدي المقصد نفسه.

2-4 المستوى البلاغي:

2-4-1 التقديم والتأخير

يقول الجرجاني عن هذا الفن: «هو باب كثير الفوائد، جم المحاسن ، واسع التصرف، بعيد الغاية، لا يزال يفتر لك عن بديعه، ويفضي بك إلى لطيفه، ولا تزال ترى شعرا يروقك مسمعه ، ويلطف لديك موقعه، ثم تنظر فتجد أن راقك ولطف عندك أن قدم فيه شيء وحول اللفظ عن مكانه إلى مكان»[63] . إن كان هذا الباب كثير الفائدة في الكلام البشري، فالفائدة أعظم في كلام الله.

60-البقرة: 136

61-آل عمران:84

62- الإتقان: 2/ -250 251

63-دلائل الإعجاز: 160

ونمثل لذلك بقوله تعالى: ﴿ويوم نبعث في كل أمة شهيدا عليهم من أنفسهم وجئنا بك شهيدا على هؤلاء﴾[64].

(One day we shall raise from all peoples a witness against them, from amongst themselves:and we shall bring you as a witness against these (your people)

﴿فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدا﴾[65].

(How then if we brought from each people a witness and we brought you as a witness against these people).

ففي سورة النحل تقدم اسم الشهيد على المشهود عليها)شهيدا على هؤلاء (، فورد ما نسق على ذلك من الأخبار بشهادته عليه السلام على أمته مرتبا على ما تقدمه من مقتضى النظم في التناظر والتناسب (شهيدا عليهم).

أما في سورة النساء لم يرد فيها إفصاح بذكر المشهود عليهم)بشهيد (ولا كناية عنهم بضمير ولا اسم إشارة، وجاء تقدم الجار والمجرور (على هؤلاء شهيدا) مناسبا لما سبق من قوله تعالى: ﴿والذين ينفقون أموالهم رئاء الناس ولا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر﴾[66].

أما الترجمة الإنجليزية فلم تأخذ بعين الاعتبار هذه الفروق الدقيقة وألغت مزية التقديم والتأخير وسوت بينهما(A witness against these).

2-4-2 الحذف:

يقول الجرجاني في مزايا الحذف: «هو باب دقيق المسلك، لطيف المأخذ، عجيب الأمر، شبيه بالسحر، فإنك ترى به ترك الذكر أفصح من الذكر، والصمت عن الإفادة أزيد من الإفادة، وتجدك أنطق ما تكون إذا لم تبن»[67].

64-النحل: 89

65- النساء: 41

66- النساء: 38

67-دلائل الإعجاز: 146

إن مزايا الحذف في القرآن كثيرة وعدم أخذها بعين الاعتبار يخل بالمعنى المقصود ونمثل لذلك بقوله تعالى: ﴿ ولا تقتلوا أولادكم من إملاق نحن نرزقكم وإياهم﴾[68].

(Kill not your children on a plea of want, we provide sustenance for you and for them).

﴿ولا تقتلوا أولادكم خشية إملاق نحن نرزقهم وإياكم﴾[69].

(Do not kill your children for fear of want, we shall provide sustenance for them as well as for you).

يقول السيوطي معلقا على حذف (من) وذكرها في الآيتين: «الأولى خطاب للفقراء المقلين، أي لا تقتلوهم من فقركم فحسن)نحن نرزقكم (ما يزول به إملاقكم، ثم قال :)وإياهم (أي نرزقكم جميعا. والثانية خطاب للأغنياء: أي خشية فقر يحصل لكم بسببهم، ولذا حسن) نحن نرزقهم وإياكم)»[70] ففي الأولى قدم الآباء على الأولاد (كم – هم)، وفي الثانية قدم الأولاد على الآباء (هم – كم)، ففي خطاب الفقراء، ضمن الرزق للآباء المقلين ثم لأبنائهم، لأنهم في عوز شديد. وفي خطاب الأغنياء ضمن الرزق للأبناء أولا وللآباء ثانيا لأنهم ميسورون. فجاء الحذف للدلالة على معنى عميق. وكذلك في قوله تعالى: ﴿المنافقون والمنافقات بعضهم من بعض﴾[71].

(The hypocrites, men and women, (have an understanding) with each other).

﴿والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض﴾[72].

(The believers, men and women, are protectors, one of another).

68-الأنعام: 151
69- الإسراء: 31
70-الإتقان: 2/ 251
71-التوبة: 67
72-التوبة: 71

يقول السيوطي معلقا على ذكر (من) وحذفها «لأن المنافقين ليسوا متناصرين على دين معين وشريعة ظاهرة، فكان بعضهم يهودا وبعضهم مشركين ، فقال (من بعض) أي في الشك والنفاق. والمؤمنون متناصرون على دين الإسلام وكذلك الكفار المعلنون بالكفر كلهم أعوان بعضهم ومجتمعون على التناصر بخلاف المنافقين»[73] فقوله تعالى: (بعضهم من بعض) يفيد التبعيض وأن المنافقين ليسوا لحمة واحدة ولا من ملة واحدة، وأنهم ضعاف لا رابط بينهم. أما المؤمنون، فبعضهم أولياء بعض، فسقطت(من) التبعيضية ليدل ذلك علىأنهم جسد واحد، وكلمة واحدة، وملة واحدة.

أما الترجمة الإنجليزية فلم تراعي دلالة (من) واكتفت بوصفهم أنهم مع بعضهم البعض دون أن تبين نوعية الرابط بينهم.

خاتمة:

يتبين من هذا المقال أن ترجمة النص القرآني ليس بالأمر الهين وترجمته ليست كترجمة باقي النصوص. إنه قول ثقيل يستلزم نظرية خاصة به تستوعبه وتأخذ بعين الاعتبار خصوصيته الإلهية.

تبين أيضا أن علم المناسبات له إضافته النوعية في ترجمة القرآن، فهو علم يبحث في الأسرار العجيبة للنظم القرآني، وعلى المترجم أن يستحضرها في نقل معاني القرآن إلى لغة الهدف.

كما يسعى هذا المقال إلى رسم معالم نظرية نسميها ب «النظرية البيانية لترجمة القرآن الكريم». وأن «مبدأ البيانية» التي تقوم عليه يتحقق بثلاث مطالب، المطلب اللغوي والثقافي والشرعي. كما تدعو هذه النظرية البيانية إلى أن تكون ترجمة القرآن مبنية على خمسة مراحل: المرحلة الوصفية، والتصنيفية، والإنجازية، والتواصلية، والتحفيزية. وأن المعادلة التحفيزية هي المقصد الأول والأخير من ترجمة القرآن، وذلك لأن ترجمته لن تغني القارئ عن الأصل أبدا.

73- الإتقان: 2/ 251

المراجع بالعربية:

1 - الإتقان في علوم القرآن: جلال الدين السيوطي،(911هـ)،الطبعة الثانية،1991.

2 - بديع القرآن: ابن أبي الأصبع المعري،(654هـ)، تحقيق حنفي محمد شرف، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع.

3 -البرهان في ترتيب سور القرآن: للفقيه أبي جعفر أحمد بن إبراهيم بن الزبير الغرناطي، (708هـ)، دراسة وتحقيق الأستاذ محمد شعباني، طبع بأمر من صاحب الجلالة أمير المؤمنين الحسن الثاني رحمه الله، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية،1990.

4 -البرهان في علوم القرآن: بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية بيروت، الطبعة الثانية، 1972م.

5 -تفسير المراغي: أحمد مصطفى المراغي. دار الفكر.

6 -التناسب البياني في القرآن: أحمد أبوزيد منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط المغرب، رقم 19، مطبعة النجاح الجديدة، 1992.

7 -تناسق الدرر في تناسب السور: جلال الدين السيوطي (911هـ)، تحقيق عبد الله محمد درويش، عالم الكتب، الطبعة الثانية، 1987م.

8 – ثلاث رسائل في إعجاز القرآن: للرماني والخطابي وعبد القاهر الجرجاني، تحقيق محمد خلف الله، ومحمد زغلول سلام، الطبعة الرابعة، دار المعارف.

9 – دلائل الإعجاز: عبد القاهر الجرجاني، تحقيق: محمود محمد شاكر، مكتبة الخانجي القاهرة، 1984.

10 – سر الفصاحة: ابن سنان الخفاجي، دار الكتب العلمية، بيروت، 1982.

11 –الصناعتين: أبو هلال العسكري (395هـ)، تحقيق الدكتور مفيد قميحة، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى،1981.

12 –معجم القرآن: عبد الرؤوف المصري، الطبعة الثانية، دار السرور، بيروت لبنان.

13 – المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم: محمد فؤاد عبد الباقي، دار الفكر للطباعة والنشر، الطبعة الرابعة، بيروت لبنان،1997.

14 – ملاك التأويل بذوي الإلحاد والتعطيل في توجيه المتشابه للفظ من آي تنزيل: أحمد بن إبراهيم بن الزبير الغرناطي، تحقيق: سعد الفلاح، الطبعة الأولى، دار الغرب الإسلامي، 1983.

15 – المنزع البديع:لأبي محمد القاسم الأنصاري السجلماسي، تحقيق علال الغازي، مكتبة المعارف ، الطبعة الأولى، المغرب،1980.

16 – نظم الدرر في تناسب الآيات والسور: برهان الدين أبي الحسن إبراهيم بن عمر البقاعي (885هـ)، الطبعة الثالثة، مكتبة ابن تيمية، 2006.

المراجع بالأجنبية:

1- Fawcet, P. (1997) Translation and Language. ST Jerome Publishing, Manchester, UK.

2- Gatford, J.C. (1965) A Linguistic Theory of Translation: An Essay in Applied Linguistic cs, London, Oxford University Press.

3- Hatim, B and Mason, I. (1997) The Translator As a Communicator. Routledge, London and New York.

4- Gutt, E.A (2000). Translation and Relevance Cognition And Context. ST Jerome Publication.

5- Nida , E. 1964. Towards a Science of Translating . Leiden : Brill

6- Nord , C. (1991). Text Analysis in Translation.. Amsterdam. – Atlanta GA..

7- Yusuf, a (1998). The Quran Translation, Third edition.

8- Zahid, A 2004 A Model for Metaphor Translation from English Literature into Arabic. Alwataniya, Morocco.

المعاجم:

1-An Arabic - English Lexicon. By Edward William Lane.: Librairie du Liban . Beirut-Lebanon

2-The Penguin Modern. Guide To Synonyms And Related Words. Edited by S.I.. Hayakawa. Penguin Books 1987.

مجلة الواضحة

الناشر :مؤسسة دار الحديث الحسنية

العدد السادس

الإيداع القانوني : 6 / 1979

جميع الحقوق محفوظة

التصفيف و الطباعة و الإخراج الفني :

10 ، شارع العلويين رقم 3 حسان – الرباط

الهاتف : 83 75 20 37 05 الفاكس : 89 75 20 37 05

البريد الإلكتروني : editionbouregreg@gmail.com

الواضحة

مجلة علمية محكمة

تصدر عن مؤسسة دار الحديث الحسنية
للدراسات الإسلامية العليا بالرباط

المدير المسؤول
مدير مؤسسة دار الحديث الحسنية
أ. د. أحمد الخمليشي

التنسيق والتحرير
د. عبد المجيد محيب
د. عزيز الخطيب
د. ابراهيم مشروح

العدد
6

المملكة المغربية
وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية
مؤسسة دار الحديث الحسنية
Etablissement Dar El Hadith El Hassania

الواحة

مجلة علمية محكمة

تصدر عن مؤسسة دار الحديث الحسنية للدراسات الإسلامية العليا بالرباط.

المشاركون:

- أحمد الخمليشي
- عبد الحميد زاهيد
- عزيز الخطيب
- عبد الله الرشدي
- وليد الشاويش
- فؤاد بن أحمد
- نادية الشرقاوي
- عبد الكريم عكيوي
- إبراهيم مشروح
- الحسين آيت سعيد
- عبد المجيد الصغير
- إدريس نغش
- حميد وافي
- أحمد عبادي
- عبد الرحمان أغريوة
- بوشرى شاكر

العدد 6
1432 هـ - 2011 م